

معلم اللغة العربيّة في المرحلة الأساسيّة، الصفوف الأربعة  
الأولى: معايير اختياره وتأهيله ودوره في بناء المجتمع  
المتطور  
الواقع والمأمول

الدكتور عودة خليل أبو عودة  
جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة

الأربعاء 19 ذو القعدة 1431هـ- الموافق 27 تشرين الأول 2010م



## مقدمة في أهمية المعلم في صناعة المجتمع المتطور

للعام الثاني على التوالي ينظم مجمع اللغة العربيّة مؤتمراً علمياً كبيراً عن واقع التعليم في المؤسسات الأردنيّة. ففي عام 2009، في أيام 27-29 من شهر تشرين الأول عقد المجمع مؤتمر "اللغة العربيّة في المؤسسات الأردنيّة: واقعها وسبل النهوض بها" وقد قامت بحوث هذا المؤتمر وجلساته على أربعة محاور، شملت موضوعات اللغة العربيّة في التعليم العام، واللغة العربيّة في التعليم الجامعي، واللغة العربيّة في المؤسسات الإعلاميّة والرسميّة، والترجمة والتعريب وأهميتهما في التنمية اللغويّة، وكانت الأوراق العلميّة كلها تبين الصورة القائمة فعلاً في هذه المؤسسات، وتحاول وضع سبل النهوض باللغة العربيّة في مجالات العملية التعليميّة. وقد صدرت أعمال هذا المؤتمر في مجلد كبير، بعنوان: الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربيّة الأردني، مؤتمر اللغة العربيّة في المؤسسات الأردنيّة: واقعها وسبل النهوض بها.

وفي هذا العام أيضاً، عام 2010، وفي الأيام الثلاثة 26-28 من أواخر تشرين الأول يعقد المجمع مؤتمراً علمياً كبيراً في أثناء موسم الثامن والعشرين، بعنوان:

### اللغة العربيّة في المرحلة الأساسيّة الأولى الصفوف الأربعة الأولى من الأول حتى الرابع ومرحلة ما قبل المدرسة

ويتناول هذا المؤتمر منهاج اللغة العربيّة في مرحلة ما قبل المدرسة ومنهاج اللغة العربيّة في المرحلة الأساسيّة (الصفوف الأربعة الأولى) والمهارات اللغويّة لطلبة المرحلة الأساسيّة، ومعلم اللغة العربيّة في هذه المرحلة، وأساليب تدريس اللغة العربيّة ووسائلها، وتقويم مهارات النمو اللغوي في هذه المرحلة، والبيئة التعليميّة في هذه المرحلة الأساسيّة.

وأود أن أساهم في أعمال هذا المؤتمر الكبير ببحث علمي عنوانه:

**معلم اللغة العربية في المرحلة الأساسية: الصفوف الأربعة الأولى  
معايير اختياره وتأهيله ودوره في بناء المجتمع المتطور  
الواقع والمأمول**

لقد أحسن مجمع اللغة العربية صنعاً في أن جعل هذا المؤتمر التربوي لهذا العام 2010، في موسمه الثقافي الثامن والعشرين، استكمالاً ضرورياً لمؤتمره السابق عام 2009 الذي كان يشكل القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الدراسات والبحوث في المؤتمرات اللاحقة. فالمؤتمر الأول كان عن (اللغة العربية في المؤسسات الأردنية: واقعها وسبل النهوض بها)<sup>(1)</sup>. فكأنه كان دراسة كاشفة لبيان حال اللغة العربية في مؤسسات الدولة كلها، التعليمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية وغيرها. ثم جاء هذه المؤتمر اللاحق، ليدرس مراحل التعليم مرحلة مرحلة، بشكل مختصّ وموسع، ليلقى الضوء على الواقع القائم في مجالات العملية التعليمية، وليضع الاقتراحات والتوصيات والحلول المناسبة لمعالجة ما تكشف عنه الدراسات من أسباب الضعف في مستوى المتحدثين والمعلمين والمتعلمين وأبناء المجتمع بشكل عام في استعمال اللغة العربية، لغة للحياة، ولمؤسسات التعليم ومؤسسات المجتمع في كل المجالات.

إن اهتمام مجمع اللغة العربية بواقع اللغة العربية، وتخصيص موسمين ثقافيين متواليين في عامي 2009 و2010 لهذا الموضوع الخطير إن هو إلا تعبير جاد عن أهمية هذا الموضوع، وعظيم خطره في بناء المجتمع، وتطور الحياة فيه. ومما لا شك فيه أن اهتمام المجمع هذا، إن هو إلا حلقة في سلسلة

---

(1) انظر كتاب: الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الطبعة الأولى، 2009، عمان، الأردن.

الاهتمام العام بكل مرافق الدولة لهذا الموضوع، في المؤسسات الرسمية والخاصة، ومن أعلى المستويات التي تتحمل عبء العمل في خدمة هذا الوطن العزيز إلى أقل العاملين فيه، وكان على رأس شواهد الاهتمام الرسمي بالعملية التعليمية أن وجه جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين في مطلع العام الدراسي 2010/2009، وكذلك في مطلع العام الدراسي 2010-2011 رسالة ملكية سامية إلى المعلمين بين فيها أهمية العلم في بناء المجتمع، وأهمية المعلم في توجيه المجتمع المتطور، وبين فيها اعتزازه بالمعلمين واهتمامه بتحسين أوضاعهم، وكان مما جاء في رسالة جلالاته الثانية إلى المعلمين في عام 2010-2011، الأفكار والأقوال السامية التالية.

- "المعلم يشكل ركيزة أساسية لنجاح جهودنا للنهوض بالعملية التربوية، ونحن حريصون على تحسين ظروف عمله.
- "التعليم الذي يستند إلى رسالة الإسلام السمحة وقيم العروبة والإنسانية النبيلة هو القاعدة التي تأسس عليها هذا الوطن.
- "المعلمون هم أمناء الوطن على المستقبل وبناته وهم الذين يديمون مواسم الأردنيين بالخير والبركة والفرح كل عام.
- "إننا ماضون في جهود الإصلاح والتطوير المستهدفة ضمان حصول أبنائنا على أفضل مستويات التعليم، في عصر يشكّل العلم والمعرفة فيه شرطاً تجاوز ما يزخر فيه من تحديات.
- "المعلمون قادة، ورواد لمستقبل وطننا الغالي، يبنون المواطن الحر والمتعلم الجريء في الحق،
- "إنني أشير إلى ضرورة استكمال مشروع رياض الأطفال...

- وإلى إنشاء ما يلزم من مراكز البحث التربوي والدراسات والاستشارات حتى لا تبقى سياستنا التربوية تدور في إطار تجربة محدودة، على الرغم مما أنجزت للوطن مما نقدره ونجله.

- وجّهت الحكومة إلى الاستمرار في وضع الخطط لجعل عملية تطوير التعليم وتحسينه عملية مستمرة، وفي جميع الجوانب المتعلقة بالبيئة المدرسية والبنى التحتية والمناهج، وتلك المرتبطة برعاية المعلمين وتحسين ظروف حياتهم وتأهيلهم وتدريبهم<sup>(1)</sup>.

إن هذه الأقوال الكريمة تدل دلالة واضحة على أهمية دور المعلم في بناء المجتمع، وتدل أيضاً على ضرورة توفير الظروف والشروط اللازمة من أجل قيامه بعمله خير قيام.

إن الحقيقة الناصعة التي يجب تأكيدها هي أن المعلم هو الأساس الأول، والقاعدة الراسخة في نجاح العملية التعليمية، لقد ذكرت في بحثي عن المعلم - أيضاً- في الموسم الثقافي الماضي للمجمع، الموسم السابع والعشرين، أن المعلم هو رأس المثلث التربوي الذي يشمل أركان العملية التعليمية: المعلم، والمتعلم والمنهاج<sup>(2)</sup>.

"إن المنهاج والمعلم والطالب هي عناصر العملية التربوية التي ينتج عنها تحقيق الأهداف التربوية المرجوة. فللمنهاج أسس تراعى عند وضعها، وللمعلم مواصفات ومؤهلات لا بد منها في سبيل تحقيق الأهداف التعليمية"<sup>(3)</sup>.

---

(1) انظر نصّ الرسالة السامية كاملاً في العدد 15509 من جريدة الدستور الأردنية الصادر يوم الأربعاء 6 شوال 1421هـ الموافق 15/ أيلول/2010م.

(2) انظر (الموسم الثقافي السابع والعشرون)، ص133.

(3) انظر بحث: الاستهانة بالعربية والأعراض عنها، أسباب ذلك وطرق معالجته، محمود أبو كته، ألقى البحث في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية، بجامعة الجزائر، 7-9 نيسان 1984، ص31-34 (بتصرف).

ويكاد يكون من بدهيات الثقافة العامة لدى أفراد المجتمع جميعاً أن المعلم هو العنصر الرئيسي في بناء العملية التعليمية، فإذا وجد المعلم الكفّي، المؤهل، ذو الخبرة والعلم والتجربة والحكمة فإنه يستطيع أن ينهض بالمنهاج التعليمي، ويستطيع أن يحقق كثيراً من أهداف المنهاج التي تتعلق باكتساب المعرفة، فالمعلم الناجح يمكن له أن يستكمل نقص المنهاج إن وجده فيه. ولذلك قيل إن المعلم الناجح يمكنه أن يقوم على وجه ما بالعملية التعليمية، في حين إن الطرفين الآخرين من المثلث التربوي لا يقومان بهذه العملية أبداً في غياب المعلم.

### لماذا الاهتمام باللغة العربيّة؟!

يحار المرء عندما يريد أن يتحدث عن هذا العنوان أو يكتب عنه بم يبدأ، وكيف يرسم منهج الحديث عنه. وأول ما يخشى المرء أن يواجه به هو أن هذا القول كلام مكرور قد عرفه الناس وقرأوه وملّوا سماعه. ولكن الذي يحز في النفس أن معظم الناس يقولون هذا القول دون إدراك لأهمية اللغة ودون معرفة بأثرها في بناء الأمة وصناعة الأجيال القوية الواعية العاملة. ومن هنا كانت ضرورة الحديث عن اللغة ببيان علمي شاف، بعيد عن الخطابة والحماسة التي قد لا تقنع أحداً. إن أوجز خطاب عن اللغة العربيّة أنها جزء من الدين، وأنها التي تجعل لهذه الأمة كياناً ووجوداً بين الأمم، وبدون ذلك فإنه لا يكون للأمة العربيّة إلا وجود وهمي، وكيان خيالي لا أثر له في حركة التاريخ وفي مسيرة الحضارة العالميّة.

لا تصلح هذه الأمة إلا بما صلّح به أولها، وقد صلّح أولها بتمسّكه بدين الله عز وجل الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد نزل هذا الدين بلسان عربي مبين، هو اللسان نفسه الذي كان قد تفوق به العرب في مخاطباتهم وتعليقاته م وأشعارهم ومفاخراتهم وأمثالهم وأسجاعهم. ولكن هذا كله، على ما فيه من تفوق من

حيث الشكل والتعبير، إلا إن مضمونه ومعانيه وأفكاره كانت معاني ضعيفة منقطعة، لا تصنع أمة واعية ولا فكراً بانياً؟ ولا حضارة فاعلة. وعندما نزل القرآن الكريم صنع لهذه الأمة منهاج حياتها القويم، وبين لها الفكر السليم، والصراف المستقيم الذي يجب أن يسر عليه، وكانت هي من قبل، متسلحة بالبيان الرفيع والفصاحة العالية، فاجتمع لديها عناصر التفوق الحضاري وأسباب التقدم العلمي والتطور الثقافي فكانت بالحضارة التي قدمتها لتكون كله خير أمة أخرجت للناس.

ليس هذا بدعا في اللغة العربية ولا في الأمة العربية، وإنما كل الأمم المتقدمة تؤمن به وتعمل بهديه.

هذه اليابان التي (استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطهم المجحفة على اليابان المستسلمة، مثل تغيير الدستور وحل الجيش ونزع السلاح... الخ، وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط ما عدا شرطاً واحداً لم تقبل به، وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلميّة والصناعية الجديدة)<sup>(١)</sup>.

وهذه فرنسا التي "أدركت منذ أواخر القرن الثامن عشر أهمية اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القوميّة"<sup>(٢)</sup>.

وفي كوريا (يجري التعليم في مختلف مراحلها وتنوع اختصاصاته باللغة الكورية الفصيحة، طبقاً للسياسة اللغوية للدولة وتحت مراقبتها)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مقالة: "التمكين للغة العربية: آفاق وحلول"، للدكتور محمود السيد، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثالث والثمانون، الجزء الثاني، نيسان: 2008، ص303.

(٢) المرجع السابق، ص304.

(٣) المرجع السابق، ص304.

"وفي فيتنام دعا القائد الفيتنامي (هو شيء منّة) أبناء أمته قائلاً: "لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم"<sup>(١)</sup>.

وفي أسبانيا تنص المادة الثالثة من الدستور الإسباني على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية التي ينبغي لجميع أبناء الشعب استعمالها<sup>(٢)</sup>. وبناء على هذا فإنهم لم يسمحوا لممثلي إقليم قطلونيا الإسباني أن يتحدثوا بلغتهم المحلية في البرلمان.

ومثل هذا يقال عن ألمانيا، وبريطانيا وغيرها من الأمم.

إن لغتنا العربيّة بحاجة إلى مثل هذا الاهتمام والاحترام من أبنائها ومن المسؤولين كافة في المؤسسات الرسمية والخاصة، مهما كان اختصاصها ومجالها. ومن العجيب أن اللغة العربية تحظى باحترام أعداد كبيرة من كبار المستشرقين المختصين بدراسة اللغات، ومن عديد من الشخصيات العلمية العالميّة، على حين تجد - مع الأسف - كثيراً من الهجوم والإعراض من أبنائها.

أشار إلى مكانة اللغة وأهميتها عدد من الباحثين المنصفين أذكر منهم: الكاتب الإسباني (أفارو: Alvaro) في القرن التاسع الميلادي، و(بيترارك) شاعر إيطاليا الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي، والكاتب القاصّ الفرنسي (جول قرن)، والمستشرق الإنجليزي (ادوارد نيسون روس)، والمستشرق الإيطالي (كارل نلينو) والمستشرق الإيطالي (جويدي)، والمستشرق الأمريكي (وليم ورل) والمستشرق الأمريكي (كوتهيل). يقول هذا الأخير: "قلّ منّا نحن الغربيين من يقدر اللغة العربيّة حق قدرها من حيث أهميتها وغناها... لقد كان للعربية ماضٍ مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل زاهر".

---

(١) مقالة: "التمكين للغة العربية: آفاق وحلول"، للدكتور محمود السيّد، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثالث والثمانون، الجزء الثاني، نيسان: 2008، ص304.

(٢) المرجع السابق، ص305.

ويقول (وليم ورل): "إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكّنها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتفقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى في اللغات التي احتكت بها. وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي".

ويقول العالم الألماني (فرينباغ): "ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإنّ اختلافهم عنا في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة".

ويقول: (إرنست رينان): "من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها... ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت محافظة على كيانها من كل شائبة".

ويقول (ماسينيون): "إن اللغة العربية لغة وعي ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وإن في اللفظ العربي جرساً موسيقياً لا أجده في لغتي الفرنسية"<sup>(1)</sup>.

### كيف نكتسب اللغة ونتعلّمها؟

ينبغي للإجابة عن هذا السؤال إجابةً دقيقةً علميةً، أن نعرف - في البداية - معنى اللغة، وما علاقة اللغة بالصوت الإنساني الذي يتمثل عادة باللسان؟ أي ما علاقة اللسان باللغة؟ وهل هما أساساً شيئان مختلفان.. أحدهما عن الآخر؟

---

(1) انظر الأقوال الواردة كلها في مقالة د. محمود السيد، في المرجع السابق، الصفحات 308-309.

إن النظريات الحديثة في تعريف اللغة تلتقي كلها في معظم جزئياتها بما قال به دوسوسير، الذي يعد أبا اللسانيات الحديثة، بأن "اللغة نظام من العلامات والإشارات التي صممت لغرض الاتصال" (١) ثم اختصر هذا القول بتعبير آخر قال فيه: "إن اللغة نظام من الإشارات التي تعبر عن أفكار، وتعريف اللغة بأنها نظام اعتبر أهم ابتكار وأكبر ثورة لسانية قام بها سوسير. (٢) وسنرى بعد قليل أن القول بأنه (أهم ابتكار) وأنه (أكبر ثورة لسانية) إن هو إلا أمر فُطِرَ عليه الإنسان، حيثما كان في امتداد الزمان واتساع المكان، سواء أكان عربياً أم غريباً أم آسيوياً أم أوروبياً أم أمريكياً. ولست أقول هذا الأمر ازدراء بالتفوق الغربي الآن في كل علوم الحياة، من علوم اللغة والنفس والاجتماع والفلك والرياضيات والفك... إلخ. بل إنني أشد ما أكون ضَجْرًا من هؤلاء الذين يهاجمون رجال الغرب وعلماءه، فقط لأنهم علماء غربيون، وهذا منتهى الخطأ والخلل. ولكنني في الوقت نفسه أقول إنني أشد ما أكون أسفًا عندما أرى الباحثين عندنا، وكثير منهم من الباحثين الجادين، لا يصرفون نظرهم إلى الحضارة العربية السامقة الخالدة، ليجدوا فيها الأصول الراسخة لكثير من النظريات الحديثة في الصوتيات واللسانيات والنحو والصرف والعلوم الأخرى المتعددة.

إن النظريات الحديثة تقول إن اللغة بمعناها العام ذات وجهين:

أحدهما: نظام ذهني اجتماعي ذو وجود مستقل في أذهان أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، وهذا الوجه يسمى: (اللغة: Language) وثانيهما: الصورة التي يتحقق بها الوجود الذهني على لسان الفرد، وهذا يسمى، (الكلام: parole) (٣).

---

(١) انظر: محاضرات في اللسانيات، د. فوزي حسن الشايب، وزارة الثقافة، عمان - الأردن 1999، ص 17.

(٢) المرجع السابق، ص 17.

(٣) اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، 2005، ص 162.

لقد اعتادت كتب اللغة والدراسات اللسانية الحديثة أن تسمى الوجه الثاني:

- الدال.

- وتسمى الوجه الأول.. المدلول.

فاللغة - إذن - هي العلاقة بين الدال والمدلول.

إن هذا الاكتشاف الحديث لدلالة اللغة بوجهيها: الدال والمدلول، أو اللسان والمضمون أو اللفظ والمعنى المختزن في القلب على شكل رموز ونظام وإشارات وعلامات تستحضر لدى المتكلم أو الكاتب عند اللجوء إليها بفكره أو لسانه، إن هذا الاكتشاف موجود ومعروف لدى الدراسات اللغوية القديمة في تراثنا العربي.

استمع إلى ابن سينا يقول في كتابه الكبير: الشفاء (العبارة): "الألفاظ

والكتابة هي أدوات دلالية، فما يخرج بالصوت يدل على ما في النفس، وهي التي تسمى (آثاراً) والتي في النفس تدل على (الأمر) وهي التي تسمى معاني، أي مقاصد للنفس: (إذ يقصد الإنسان إلى التعبير عن العالم الخارجي بمعطياته أو عن الانفعالات والرغبات في حياته الاجتماعية وروابطها)، كما أن الآثار أيضاً بالقياس إلى الألفاظ معان. والكتابة تدل على اللفظ إذ يحاذي بها تركيب اللفظ، واختير ذلك للسهولة، ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع ارتسم في النفس معنى فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحسّ على النفس التفتت إلى معناه<sup>(١)</sup>.

إن هذا الكلام الثمين الذي أرسله ابن سينا عبر الأجيال يدل على أن اللغة تتشكل مما يشاهده المرء ويسمع به في حياته من أحداث وأعيان وأعمال وأقوال،

---

(١) انظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، د. فايز الداية، دار الفكر، الطبعة الأولى،

1985، ص14، نقلاً عن كتاب: الشفاء (العبارة) تحقيق محمود الخضيرى، ط. الهيئة

المصرية العامة، القاهرة: 1970م.

وسائر دروب الحياة وأحداثها مهما صغرت أو كبرت، إن اللغة لدى كل إنسان تتشكل مما تقدمه الحواس الخمس للإنسان منذ اللحظة الأولى من ولادته، إنه يبدأ باختزان كل ما يلمسه ويحس به ويسمعه ويراه وبذوقه، لكنه في المرحلة الأولى يختزن، ويبدأ في البث فيما بعد، عندما يبدأ لسانه عمله الكبير في عمره الذي كتب له.

ولنستمع مرة أخرى إلى الإمام الغزالي يرسل هذا القول عبر العصور عسى أن يقرأه علماء اللغة المعاصرون فيقارنوا بينه وبين ما يدرسونه من نظريات لسانية حديثة. يقول أبو حامد الغزالي: (والوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة، فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح)<sup>(١)</sup>.  
اللغة - إذن - هي ما يوجد في الأذهان من صور الأعيان والرموز التي يشاهدها الإنسان.

واللسان هو الألفاظ والتراكيب التي يتكلم بها الإنسان تعبيراً عن تلك الأعيان والرموز والموجودات، التي اختزنت في ذهنه - مع مرور الأيام - على شكل صور حسية، مثل: البحار والجبال والناس والحيوان والنبات والطعام والشراب والمدارس والمساجد، وما إلى ذلك مما يتعامل به الناس، وهذه غالباً أمور وأشياء متشابهة عند كثير من الأمم.

هذا اللسان يتشكل مما يبدأ الإنسان سماعه منذ يوم ولادته، ومما يبدأ مشاهدته ولمسه والإحساس به في حواسه كلها، وأهمها - بكل تأكيد - السمع والبصر. فالإنسان يولد على الفطرة، أي يولد صفحة بيضاء ليس في ذاكرته شيء، ثم تبدأ هذه الذاكرة باستقبال المعلومات والصور والإشارات والرموز التي

---

(١) انظر: علم الدلالة العربي، ص 15، نقلاً عن كتاب الغزالي: معيار العلم، دار المعارف بمصر، 1969، ص 75-76.

تشكل اللغة كما ذكرنا قبل قليل. لقد سمى أبو هلال العسكري هذه الذاكرة النامية: (السبيكة)، وسماها القرآن الكريم (الفؤاد) أو (الأفئدة)، انظر إلى قول الله عز وجل يقرر هذه الحقيقة الكونية بأن الإنسان يولد على الفكرة لا يعلم شيئاً:

- (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) {النحل:78}

بعد الولادة مباشرة يبدأ تشكل (اللغة) عند الإنسان، ويبدأ تشكل (اللسان) مما يسمع ويشاهد، وهكذا ينشأ كل فرد من الناس وفق المجتمع الذي يعيش فيه، والأصوات التي يستمع إليها. وهذه حقيقة كونية ذكرتها الآيات القرآنية قبل أن يهتدي إليها العلماء العرب وعلماء اللغة المعاصرون، انظر إلى الآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) {الإسراء:36}.

- قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) {المؤمنون:78}.

- قال تعالى: (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) {السجدة:9}.

- قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) {الأنعام:46}

فلننظر كيف يصرف الله الآيات، ولنستفد من كل ما يأتي به العلم الحديث في ضوء الاهتمام بترائنا العربي الغني الخالد.

اللسان إذن يتشكل مما يبدأ الطفل يستمع إليه ويشاهده ويربط بينه وبين الصوت الذي يسمعه، ولهذا فإن الطفل ينشأ ابناً لبيئته يتكلم بلسانها ويتعلم عاداتها ويتشكل في مجتمعاها.

ولتوكيد هذه الحقيقة، لنضرب مثلاً توأمين، نبقي أحدهما في الأردن مثلاً، ونأخذ أخاه التوأم إلى بلد آخر، انجلترا مثلاً، ثم نأتي بهما بعد عشر سنوات، فما الذي نجده؟ نجد أمامنا غلامين مختلفين:

- غلاماً عربياً أردنياً بلغته وبعاداته وبكلامه وبتقافته وبحركاته، وبكل ما يتصل به من ألوان السلوك.
  - وغلاماً إنجليزياً صرفاً بلغته وبعاداته وبكلامه وبتقافته وبكل ما يتصل به.
- فما الأمر إذن؟

الأمر أن الطفل، في كل أقطار هذه الدنيا، ينشأ وتتشكل معه لغته رويداً رويداً وفق ما يستمع إليه من أصوات، وما يتعلمه خلال ذلك من عادات لغوية وثقافة اجتماعية، وسلوك إنساني.

إن هذه هي الحقيقة الكبرى التي يجب أن تكون الركيزة الأساسية في تخطيط المناهج، واختيار المعلمين وتأهيلهم.

**المعلم في الصفوف الأربعة الأولى: الواقع القائم:**

تقوم العملية التعليمية بشكل عام في الأردن على مرحلتين رئيسيتين، هما: مرحلة التعليم العام ومرحلة التعليم الجامعي. وتقسم مرحلة التعليم العام - وفق أنظمة وزارة التربية والتعليم - إلى مرحلتين رئيسيتين، هما: مرحلة التعليم الأساسي ومرحلة التعليم الثانوي. وتضم مرحلة التعليم الأساسي عشرة صفوف، تقسم هي أيضاً - وفق برامج إعداد المعلمين وتأهيلهم، وكذلك وفق وضع المناهج التعليمية اللازمة - إلى المراحل التالية:

-الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى.

-الصفوف الابتدائية من الرابع حتى السادس.

-الصفوف الابتدائية من السابع حتى العاشر .

وكثيراً ما تستعمل كلمة (الأساسية) بدلاً من (الابتدائية) في لغة وزارة التربية والتعليم. والأمر الجديد في هذا التقسيم أن الصف العاشر ألحق بمرحلة التعليم الأساسي، التي كانت تتألف من تسعة صفوف من قبل. وكان الصف العاشر هو الصف الأول الثانوي في المرحلة الثانوية التي كانت تتألف من ثلاثة صفوف. وهذا الصف، أي الصف العاشر في التقسيم القائم الآن، أو الصف الأول الثانوي في التنظيم الذي كان من قبل، هو الصف الذي يتم فيه توجيه الطلبة إلى اختيار ما يناسبهم وما يتفق مع قدراتهم وعلاماتهم من فروع التعليم بعد ذلك: وهي: الفرع العلمي، والفرع الأدبي، والفرع التجاري، والفرع التمريضي، والفرع المهني.

وقد راعت وزارة التربية والتعليم هذا التقسيم عندما وضعت المناهج الجديدة للغة العربية، إذ عمدت إلى تأليف الكتب المقررة وفق التقسيم والترتيب الآتي:

- في السنة الأولى غيرت كتب الصف الأول والرابع والسابع.
- في السنة الثانية غيرت كتب الصف الثاني والخامس والثامن.
- في السنة الثالثة غيرت كتب الصف الثالث والسادس والتاسع والعاشر.
- ووفق هذا التقسيم يتم تعيين المعلمين:

● فالصفوف الثلاثة الأولى يعلمها المعلم الذي يتخصص في (معلم صف) وهو تخصص استحدث في كليات التربية في الجامعات الأردنية، يدرس فيه الطالب، وفق الخطة الموضوعية، مواد أساسية في تخصصه العام: معلم صف لغة عربية مثلاً أو معلم صف لغة إنجليزية أو غيرها، وكذلك في المجالات التربوية والتخطيط وأساليب التدريس والتربية الخاصة وغيرها، ويتخرج فيه الدارس بعنوان (معلم صف في اللغة العربية)، مثلاً.

وكثيراً ما يطلق عليه في مخاطبات وزارة التربية والتعليم، في أجواء العمل فيها: معلم تربية وتعليم.

- والصفوف التي بعد هذه المرحلة يدرسها - كما هو مفروض - معلمون مختصون تخصصاً كاملاً في دراساتهم الجامعية، كتخصص اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الرياضيات، أو العلوم أو غير ذلك من مواد التعليم. وعلى هذا فإن أبحاث هذا المؤتمر، في مختلف محاوره، كان الاهتمام الأكبر فيها مُوجَّهاً إلى الصفوف الثلاثة الأولى، وهي (مرحلة معلم الصف) ويكون الحديث عن الصف الرابع حديثاً موجزاً، أو أنه يفهم ضمناً عند الحديث عن التعليم العام في الأردن، كما كان موضوع مؤتمر المجمع في السنة الماضية 2010/2009.

ومصطلح (معلم صف) يعنى أن المعلم الذي يحمل هذا التخصص يعلم طلاب الصف كل المواد المقررة في صفهم هذا. فهو يعلمهم اللغة العربية - مثلاً- والتربية الإسلامية، والرياضة، والنشاط، والفن، وما إلى ذلك مما هو موجود في خطة الصف. وهنا تبدو خطورة هذا الأمر من جهة، وتبدو محاسنه وفوائده من جهة أخرى. فإذا كان المعلم ممتازاً في علمه، مؤهلاً تأهيلاً جيداً في أساليب التربية وطرائق التدريس، ذا نطقٍ حسن، وفكرٍ نير، وشخصيته مقبولة، فهو سيكون قدوة حسنة ومثالاً طيباً لأبنائه، وبخاصة وهم في هذه السن. وأما إذا كان الأمر على غير ذلك، فإن الأمر يكون خطيراً؛ لأن الطلاب لا يرون أمامهم - طوال العام الدراسي- إلا هذا النموذج الذي لم يفدهم بشيء، ولم يستطيع أن يقنعهم بسلوكه ولا بعلمه.

ولقد رغبت أن أقوم باستطلاع عن الواقع العملي في المدارس الأساسية، من حيث المعلمون فيها، ومن حيث ما درسوه في أيام الدراسة الجامعية. ومن أجل

ذلك قمت بزيارة إلى بعض المدارس، أو كلفت من يقوم بزيارة مدارس أخرى، وكانت أسئلتني للمعلمين وبعض مديري المدارس ومديراتها، تنطلق من البيانات التالية:

الاسم	التخصص	مكان العمل	الصفوف التي يدرسها	ما مواد اللغة العربية التي درستها في تخصصك

وفيما يلي أسماء المدارس والحقائق التي خرجت بها من هذا الاستطلاع:

- مدرسة المنار، في ضاحية الحاج حسن في التعليم الخاص، فيها أحد عشر صفاً، معظم معلماتها حاصلات على درجة البكالوريوس في تخصص (معلم صف) وبعض المعلمات فيها حاصلات على تخصصات أخرى مثل الرياضيات أو العلوم أو اللغة الإنجليزية.
- مدرسة الزهراء - في الدوار السابع- فيها ستة صفوف في المرحلة الأساسية الأولى، وجميع معلماتها تخصص (معلم صف).

- مدرسة الفقهاء - وادي السير - ثمانية صفوف في المرحلة الأساسية الأولى، جميع معلماتها (معلم صف).
- مدرسة السويسة - في وادي السير - فيها ستة صفوف في المرحلة الأساسيّة الأولى، وجميع معلماتها (معلم صف).
- وقد سألت بعض المعلمين في محافظة الزرقاء فأفادوني من خلال خبرتهم العملية القائمة بأن جميع مدارس المحافظة، يدرس منها معلمون ومعلمات، من تخصص (معلم صف) في المرحلة الأساسيّة الأولى.
- وأفادني أيضاً عدد من معلمي ومعلمات المدارس الخاصة أن الذين يدرسون في المرحلة الأساسيّة الأولى هم من خريجي تخصص (معلم صف).  
والسؤال الآن: ما إمكانية (معلم الصف) لتدريس اللغة العربية في الصفوف الثلاثة الأولى، وهي التي تعد بحق، صفوف التأسيس والبناء.
- تخصص (معلم صف) يدرس في كلية التربية، ويعد الطالب هناك طالباً متخصصاً في التربية وأساليب التدريس والمناهج وفق التقسيمات المتبعة، وليس مختصاً باللغة العربيّة.
- الطالب الذي يدرس تخصص (معلم صف) يدرس من اللغة العربية - فقط -  
الموادّ التالية:

- لغة عربية (1)
- لغة عربية (2)
- نحو عربي (1)
- نحو عربي (2)
- الصرف (1)
- البلاغة (1)

وتكون سائر مواد خطته من المواد التربوية ومواد الثقافة العامة ومتطلبات الجامعة، ومتطلبات الكلية.

- إن الطالب الذي يسجل في هذا التخصص، يكون منذ البداية ضعيفاً في مستواه التعليمي، لأن الجامعات تعد هذا التخصص في أدنى درجات سلم القبول.

- إن الطالب الذي يدرس هذا التخصص (معلم صف)، ولا يدرس فيه سوى تلك المواد القليلة من اللغة العربية، لا يمكن أن يكون ذا مستوى جيد في اللغة، لأنه لم يدرس منها إلا أقل القليل.

- إن المواد التربوية الكثيرة، والمواد الأخرى من متطلبات الجامعة والكلية تزامم مواد اللغة العربية ولا تترك لها من حجم الخطة الدراسية إلا مسافة ضيقة.

- إن معظم الذين يدرسون هذا التخصص يتحدثون باللهجة العامية، ولا يقيمون اللغة الفصيحة وزناً، ولا يدرسون طلابهم على الاستماع إليها والتحدث الصحيح بها.

- لقد درّست هؤلاء الطلاب شخصياً في بعض الجامعات الخاصة وكنت أرى عياناً إحساسهم بأنهم طلاب كلية التربية، وأن مواد اللغة العربية (القليلة) مواد طارئة عليهم وليست مواد أساسية. وأنهم لا يتقنونها في أثناء دراستهم.

- لاحظت - من خلال عملي في تدريس مستوى معلم صف - ضعف الطلبة الواضح في مستوى التحدث والكتابة باللغة العربية الصحيحة. وأنهم بالتالي غير قادرين على أن يكونوا معلمين أكفاء لتدريس مادة اللغة العربية.

لهذا فإنني أرى - وبخاصة في ضوء ما عرفناه يقيناً من أثر الاستماع في تشكيل اللسان وإعانتته على التكلم الفصيح باللغة - أرى أن معلم مستوى الصف - في هذه الحالة التي هو عليها - ليس قادراً على تحقيق أهداف التعلم في هذه الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى.

## المعلم في الصفوف الأربعة الأولى: الغد المنتظر والمستقبل المأمول:

مر بنا قبل قليل، عند الحديث عن: كيف نكتسب اللغة ونتعلمها؟ أن الطفل - في أي مجتمع كان - تبدأ لغته بالتشكل، ويبدأ لسانه بالكلام من واقع ما يستمع إليه ويشاهده، وهو يربط ربطاً وثيقاً مستمراً بين ما يشاهده وما يستمع إليه، وهكذا تتشكل اللغة، ببعديها، اللسان واللغة، أو الدالّ والمدلول، مما يستمع إليه الطفل في المجتمع الذي يعيش فيه. وقد قلت هناك، إن هذه الحقيقة الكبرى هي التي يجب أن تكون الركيزة الأساسية في تخطيط المناهج، واختيار المعلمين وتأهيلهم.

نقل د. أحمد مختار عمر، في كتابه: علم الدلالة، عن (بلومفيلد) "الإنسان يصدر أصواتاً نتيجة أشكال معينة من المثيرات، ويسمعه أصحابه، ويقدمون الاستجابة الملائمة، ففي الكلام البشري: الأصوات المختلفة تحمل معاني مختلفة، ودراسة هذه الارتباطات بين أصوات معينة ومعانٍ معينة تعني دراسة اللغة"<sup>(1)</sup>.

إن لسان كل إنسان - إذن - يبدأ بالتشكل منذ اللحظة الأولى لولادته، ويبدأ المرء في التقاط كل شيء يستمع إليه، وعلى هذا فإنه يتأثر بكل ما يستمع إليه، سواء أكان صحيحاً أو خطأ، أو كان حسناً أو قبيحاً، أو كان مقبولاً أو غير مقبول. إن الطفل في شهوره الأولى، هو مسجل دقيق لكل ما يقال حوله. وهذا الذي يستمع إليه هو أساس اللغة التي سيكون عليها في مستقبل أيامه. في هذه المرحلة الأولى من عمره تتشكل الأصوات التي يتحدث بها، والعادات اللغوية التي تنشأ معه، وطرائق نطق الأصوات، من مد وقصر، وجهر وهمس، وتفخيم وترقيق، وهذا هو سبب تشكل اللهجات عند أفراد الأمة الواحدة في المكان الواحد، فلهجة الشمال ولهجة الجنوب، ولهجة الفلاحين ولهجة البدو، ولهجة المثقفين ولهجة العمال، وهكذا.

- إن اللغة - في أوجز تعبير - هي استماع وإسماع.

---

(1) انظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1982، ص 26.

- نستمع اللغة فنتعلمها.
- نتحدث باللغة فيتعلمها المستمعون لها.
- فما الذي يسمعه الأطفال منا في الصفوف الابتدائية الأولى، وفي صفوف ما قبل المدرسة؟ وهي مرحلة التشكل والتأسيس.
- إنهم في البيت - غالباً - يستمعون إلى لهجات عامية بعيدة عن الأصوات السليمة والبناء اللغوي الصحيح.
- وهم في رياض الأطفال وفي الصفوف الأولى يستمعون إلى لهجات عامية متنوعة كتتوع المعلمات والمعلمين في أصواتهم ولهجاتهم وفق اختلاف البيئات.
- وهم في حياتهم يستمعون إلى لهجات عامية من دور الإذاعة وشاشات التلفزة، التي تثبت برامجها غالباً باللهجات العامية.
- إن كل شيء حولهم يبيث الأصوات باللهجة العامية.
- ثم إننا نطالب الأطفال أن يتحدثوا بلغة عربية سليمة،
- وإننا نشهد ونجتهد في مؤتمراتنا وندواتنا في البحث عن سبل العلاج، وسبل النهوض باللغة العربية.

#### الغد المنتظر والمستقبل المأمول: اقتراحات وتوصيات

- إن طريق الإصلاح واضح وصريح، وإننا بحاجة ماسة إلى إيجاد الرغبة الصادقة في الإصلاح، وإلى النيات الفاعلة في تلمس خطوات التغيير.
- ١ - ينبغي أن نزرع في قلوب أبنائنا، في مختلف أعمارهم الاحترام الكبير للغتهم، والإحساس العالي بأهمية دراستها والتحدث بها في كل الشؤون الحياتية، في التعليم وفي الوظيفة وفي التجارة، وفي السلوك اليومي. ينبغي

أن يدرك الفرد العادي، أن يدرك أبناء هذه الأمة، أن اللغة هي طريقهم إلى الفلاح وإلى النجاح وإلى التفوق عن طريق العلم والعمل، إن التاريخ لم يعرف أمة نهضت دون نهوض لغتها وتفوقها. عندما يعلم الأبناء ذلك ينشأ في قلوبهم هدف نبيل لا بد من الوصول إليه، وهو إتقان اللغة والتحدث بها، والاعتزاز بها في كل موقف.

٢ - ربما كان الاستمرار في نظام (معلم صف) للصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى جيداً، لأنه ليس من المعقول أن نخصص لطلبة هذه الصفوف معلمين مختصين في كل من اللغة العربية والتربية الإسلامية والأحياء العامة، والتاريخ...إلخ. إن معلم الصف الذي يقضي مع طلابه سنة كاملة يدرسه فيها كل المواد المطلوبة لهم، يكون معهم كالوالد مع أولاده، ولكن هذا النظام يحتاج إلى إصلاح، أعني نظام (معلم الصف)، يحتاج إلى إصلاح وتطوير من حيث:

أ - مواد الدراسة التي تقرر له في خطة المنهاج

ب - وبرامج التأهيل والتدريب التي تنظم له.

فأما مواد الدراسة فهي - الآن - غير كافية لإعداد معلم صف ناجح قادر على أن يقدم للتلاميذ المادة الكافية لتأسيسهم وبخاصة في مجال اللغة العربية.

إن محتوى المنهاج الذي يدرسه الطالب في هذا التخصص، في أثناء سنوات الدراسة الجامعية قاصر جداً، وغير كاف. وقد مرّ بنا أن الطالب يدرس من مواد اللغة العربية، مواد:

- اللغة العربية (1)

- اللغة العربية (2)

- النحو (1)

- النحو (2)

- الصرف

- البلاغة،

وهي مواد غير كافية لتأهيل مدرس ناجح للغة العربية في الصفوف الثلاثة الأولى.

إن مادتي: (اللغة العربية ( 1 ) و (2) هما مادتان متطلبان رئيسيان من متطلبات الجامعة. بل إن بعض الجامعات تجعل مادة (لغة عربية 2) مادة اختيارية، وهذا يجعل الطلاب ينصرفون عنها أحياناً. ولا يدرس الطلاب في هاتين المادتين إلا شذرات قليلة من بعض أساسيات النحو، وقواعد الكتابة والترقيم، وطريقة استخدام المعاجم، وبعض النصوص التي تقرأ للتذوق والاستمتاع.

أما مادتا النحو ( 1 ) و (2) فهما يشكلان نصف مادة النحو العربي. فالجامعات تدرس النحو كله في أربعة أجزاء، وغالباً ما تجعل المنصوبات كلها، مثل المفاعيل الخمسة والحال والتمييز والاستثناء والنداء والتحذير والإغراء والاختصاص وغير ذلك في نحو ( 3 )، وتجعل دراسة الأساليب في نحو ( 4 )، والأساليب تشمل أساليب الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتعجب والمدح والذم والشرط والقسم وما إلى ذلك. إن هذا يعني أن الطالب في تخصص (معلم صف) يتخرج وهو لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور، فإذا تذكرنا أنه لا يمر بها في خلال مرحلة التعليم العام إلا لماماً، فيتأكد لنا أن معلم اللغة العربية في الصفوف الثلاثة الأولى غير قادر على امتلاك اللغة وبالتالي تدريسها بشكل ناجح يقربها من قلوب طلابه.

لقد بقي من فنون اللغة العربية الشيء الكثير، وإن مراجعة مفردات المنهاج لتطويره وتحسينه أمر لا بد منه ويجب الإعلان عنه بقوه في مثل هذا المؤتمر.

ورب قائل يقول: ما حاجة طلاب الصفوف الثلاثة الأولى إلى مثل هذه المواد؟ فأقول إن حاجتهم إليها ماسة من خلال عملها في تشكيل شخصية المعلم

الكاملة المقنعة المحبة للغة العربية، تلك الشخصية التي تنتقل إلى الطلبة بكل حيويتها ونشاطها وحبها للغتها واعتزازها بها ولا يتأتى هذا لأي معلم لا يتقن لغته ولا يتذوق جمال أساليبها وسمو بيانها.

إن برنامج (معلم الصف) بحاجة إلى إعادة النظر في محتواه وفي خطط دراسته. وينبغي أن يكون القسط الأوفى من خطته الدراسية لمواد اللغة العربية، لأنها المادة الأساس التي ينبغي الحرص عليها في هذه الصفوف الأولى، أما ما بقي من مواد الخطة، فيكفي أن يلم التلميذ بها بسرعة، لأنها معلومات عامة، سيكون لها حضور مناسب في الخطط الدراسية المتعددة الآتية بعد الصف الثالث الابتدائي.

وينبغي أن يكون التركيز في هذه المرحلة على قراءة الاستماع. وأن يكون التخطيط الدراسي بحيث يكون التلميذ في أكثر وقته مستمعاً، أن يستمع إلى الأناشيد الجميلة، والنصوص الفصيحة، والآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأقوال المأثورة، وليس شرطاً أن يلم التلميذ بمعاني تلك النصوص ودلالاتها، بل يكفي أن يتغنى بها وينشدها، ويسعد بها، ويذهب بها إلى والديه وإخوانه في البيت، وينشدها أمامهم باعتزاز وحماسة. وعندما يكبر سيكتشف تلك المعاني التي كان يرددتها ولم يكن يدركها كما هو الآن. وهذا أمر بدهي في حياة كل الشعوب. إن تعلم اللغة يكون عن طريق الاستماع. والاستماع الصحيح يعلم التلاميذ النطق الصحيح للأصوات، ويعود التلاميذ على استماع التراكيب اللغوية المتكاملة، وإن كانت بسيطة سهلة في الصفوف الأولى، وعندما يستمع الطفل إلى شيء يَحْتَرِنُ في قلبه الصورة التي استمع إليها كما هي، فينطق الأصوات كما سمعها من المعلم، أو من والديه أو من أفراد أسرته أو من زملائه في المدرسة. لقد مرّ بنا قبل قليل أن اللغة تتشكل لدى المرء رويداً رويداً وفق ما يستمع إليه ويشاهده تبعاً في أثناء حياته.

ولهذا يجب أن يكون المنهاج قائماً على الاستماع، وأن يحاول المؤلفون أن تكون نصوص دروس القراءة موقعة يمكن إنشادها، على الرغم من أنها نثرية، ولكنها يمكن أن تكتب بأسلوب يمكن أن يتغنى بها الطالب. وعندما يكون النص صالحاً للإنشاد فإنه يبقى مع التلميذ ساعات طويلة بعد ساعة الدرس التي استمع إليه فيها. وهكذا تعتاد أذنه استماع أصوات اللغة، ويعتاد لسانه على النطق بها، وتتشكل لديه ملكة القراءة الصحيحة، والكتابة الصحيحة عندما يربط المعلم الناجح، والمنهاج الناجح، بين حركة اليد في الكتابة وحركة اللسان في القراءة والإنشاد.

إن هذا المنهاج القائم على الاهتمام بالاستماع، هو بحاجة ماسة إلى المعلمين المؤهلين الذين يتقنون القراءة الصحيحة ويقومون بمهمة (الإسماع) الصحيح لطلابهم الذين ينتظرونهم بحب وسعادة. إن المعلم هو الذي (يسمع) طلابه، أصوات لغتهم، ويسمعهم النصوص الجميلة المؤثرة، والآيات الكريمة، والأقوال المختارة. ومن خلال الاستماع تتسرب إلى قلوب التلاميذ وأسماعهم قواعد اللغة وقوانينها دون النطق بها أو التعرض لمصطلحاتها. إن اللغة في الصفوف الثلاثة الأولى تتشكل بالاستماع، وتتسرب دلالاتها ومعانيها إلى قلوب التلاميذ شيئاً فشيئاً. حتى إذا كان الصف الرابع فما فوقه، تبدأ المناهج بذكر بعض المصطلحات وبعض القواعد وفق التدرج المطلوب في صياغة الأهداف ومحتوى الدراسة في الكتب المدرسية.

إن هذا يقتضي أن يمر المعلمون بدورات منظمة في التأهيل التربوي، يتدربون فيها على طريقة التعليم الذي يقوم على الاستماع في المقام الأول، كيف ينطق المعلم النصوص أمام الطلاب، وكيف يرددونها خلفه، ثم يقرأونها وحدهم، ويستخرجون منها أشكال الأصوات المقصودة في الدرس، ويكتبونها بإشراف المعلم، وهكذا يجمع المعلم بين الإسماع والاستماع والكتابة في عملية لا تزول من أذهان التلاميذ.

وفي هذه النقطة ذاتها ندعو وزارة التربية والتعليم إلى الاهتمام بخصص (التلفزيون التربوي)، وهذه إحدى الوسائل المعينة في التعليم، ولعل (مديرية المناهج والوسائل التعليمية) في الوزارة ما زالت تحمل هذا الاسم. وكان قسم التلفزيون التربوي ينتج حصصاً مصورة يذيعها على التلاميذ وفق برنامج يوزع على المدارس قبل العام الدراسي. إن هذا البرنامج مفيد جداً في الصفوف الابتدائية الثلاثة الأولى في تعليم اللغة العربية.

إضافة إلى ذلك ينبغي أن يكون التعاون كبيراً بين وزارة التربية والتعليم وبين وسائل الإعلام المتعددة، كالتلفزيون، والإذاعة، والصحف اليومية، بكل ما تقدمه هذه الوسائل من برامج وندوات وإعلانات وأحاديث، ينبغي منها الحرص على استخدام اللغة العربية الصحيحة اليسيرة، لأن لهذه الوسائل أثراً خطيراً فيما يكتسبه الأطفال الناشئون من عادات لغوية، وسمات في النطق والأداء. يقول د. وليد العناتي: "يمتد التواصل الإعلاني من كونه جهوداً اتصالية وإعلامية لترويج سلعة ما إلى تشكيل السلوك، وتصدير المعنى الذي تحمله الرسالة، فارتباط شيء ما يقضي باستدعاء الصور المستبطنة لهذا الشيء، حينها يغدو أحد التصويرين سبباً لانتقال الذهن إلى تصور الآخر"<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: "وإذا كان هدف الإعلام الجماهيري هو الوصول إلى شتى فئات المجتمع، والتواصل معها والتأثير فيها وصولاً إلى تعاملها وإلى توحيد مشاعرها عبر مشاركة إيجابية قطرياً وقومياً، فإن اللغة هي السبيل الأول إلى هذا الهدف، لأنها حلقة أساسية في سلسلة حلقات وسائل الاتصال، وبقدر ما تكون اللغة موحدة ومفهومة من قبل الجميع فإن الرابط بين الإعلام والمجتمع يتحقق على نحو جيد"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) د. وليد العناتي ود. عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، الشروق، عمان - الأردن، 2007، ص22.

(٢) المرجع السابق، ص20.

إن اللغة العربية بحاجة إلى حملة وطنية عامة، تصدق فيه الجهود وتخلص فيها النيات إلى خدمة الوطن والأمة من خلال الاهتمام بالسبب الأول الفعّال المؤدي إلى ذلك، وهو الاهتمام باللغة. ولم يعرف التاريخ، ولم تسجل الأيام أي تقدم وازدهار لأي أمة تمّ بغير التمسك بلغتها والاعتزاز بها. ولذا فإن الاهتمام باللغة العربية ينبغي أن يلاحظ في كل مؤسسات الدولة، والمؤسسات الخاصة، وفي الوزارات المتعددة، والمراكز الثقافية والجامعات. إن كل مؤسسة يمكن أن تجد الطريق إذا أخلصت النية في الإجابة عن هذا السؤال: كيف أخدم لغتي، وأسمو بأمتي ووطني. عندئذ تتضح السبيل لكل إنسان مخلص، وعندئذ يكون كل مواطن معلماً غيوراً على اللغة العربية. لقد وجه معالي نائب رئيس الوزراء، وزير التربية والتعليم نداءً إلى المعلمين أن يقوموا بواجباتهم في خدمة الأجيال وقد أرسلها دعوة مفعمة بالأمل والعمل، وقال على مسمع من أبناء الوطن جميعاً:

- المعلمون قادمون...

وعسى أن يكون ذلك قريباً،

والسلام عليكم ورحمة الله.

## المصادر والمراجع

- إستيتية، د. سمير شريف، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، 2005م.
- الداية، د. فايز، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1985.
- جريدة الدستور الأردنية، العدد: 15509، الأربعاء، 6 شوال 1421هـ الموافق 15 أيلول 2010.
- الشايب، د. فوزي، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 1999.
- عمر، د. أحمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1982.
- العناتي، د. وليد و د. عيسى برهومة، اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق، عمان، 2007م.
- أبو عودة، د. عودة، اللغة العربية وأثرها في المنهاج، بحث ألقى في المؤتمر الدولي الأول لجامعة جدارا، بعنوان (الخطاب الأدبي واللغوي بين الثقافة والتخصص)، 7-9/4/2009م.
- أبو عودة، د. عودة، معلم اللغة العربية في مرحلة التعليم العام، الواقع وسبل النهوض بأدائه التربوي، منشورات مجمع اللغة العربية ضمن كتاب موسمه الثقافي السابع والعشرين، عمان، 2009.
- أبو كتة، د. محمود، الاستهانة بالعربية والإعراض عنها، أسباب ذلك وطرق معالجته، بحث ألقى في ندوة تعليم اللغة في الجامعات العربية، بجامعة الجزائر، من 7-9/نيسان/1984م.
- مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي السابع والعشرون، الطبعة الأولى، 2009، عمان، الأردن.
- د. محمود السيد، التمكين للغة العربية: آفاق وحلول، مقالة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثالث والثمانون، الجزء الثاني، نيسان 2008م.

## التعليقات والمناقشات

- د. محمد الحاج خليل:

يتساءل حول ضرورة تميّز معلم الصفوف الأربعة الأولى، وهل من الضروري أن يكون متخصصاً في اللغة العربية متقناً لنحوها و صرفها وبيانها وأدبها.

- أ. د. عبد الحميد مذكور:

يؤكد على أهمية الاستماع في اكتساب اللغة، ويشير إلى بعض الأدلة المؤكدة على أهميته - إضافة إلى ما ذكره د. عودة- أن الكفيف الذي فقد بصره يتعلم عن طريق الاستماع وكذلك غير العربي من أبناء الشعوب الإسلامية قد يحفظون القرآن كله دون أن يعرفوا جملةً واحدةً في اللغة العربية.

- أحد الحاضرين:

يشير إلى إغفال الباحث لقضية الفروق الفردية بين المتعلمين وكيفية مواجهتها من المعلم، فالمعلم يواجه كمّاً من الطلبة المختلفين بمستوياتهم الفكرية والثقافية، ويواجه فروقاً في الذكاء والتعلم بين الطلبة، إلى جانب الاختلاف في البيئات الاجتماعية والثقافية وكيفية مراعاتها بالنصوص وكيفية التوصل إلى وحدة بنائية خاصة فيما يتعلق بموضوع حوسبة اللغة العربية.

كما يرى أن البحوث كافة أغفلت موضوع مكافأة المعلم، ويتساءل عن مكافأة المعلم وحفز دافعية المبدعين لخلق معلم جيد قابل للنهوض بمهمة تدريس اللغة العربية.

- أحد الحاضرين:

يؤكد على أهمية الاستماع في الصفوف الأربعة الأولى، ويقول - من خلال تجربته في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها-: وجدت أن طريقة الاستماع واستخدام التكنولوجيا وبخاصة الحاسوب في تدريس اللغة العربية قد نجحت نجاحاً جيداً.

- أ. د. عبد المجيد نصير، رئيس الجلسة:

تحدث عن تجربة خاصة مرَّ بها مع طلبة تخصص "معلم الصف" في جامعة الحسين بن طلال، حيث إن نصفهم لا يعرف جداول الضرب أو قسمة عدد على آخر. وفي هذا إشارة إلى ضرورة تخصص معلمي صفوف المراحل الأولى وتمكنهم من العملية التعليمية.

- أ. د حمدان نصر:

يقول: حبذا لو نُقدّم مقترحات تتعلق بكفايات معلم اللغة العربية للصفوف الأربعة الأولى، أي: ماذا نريد من المعلم فيما يتعلق بكفاياته المهنية ليكون فعّالاً ونشطاً في تعليم اللغة العربية لهذه الصفوف.

- رد د. عودة أبو عودة:

يتمنى أن يأتي اليوم الذي يكون فيه معلم المراحل الأولى متخصصاً في اللغة العربية، فهو يرى ضرورة تخصص معلم هذه المراحل باللغة العربية، لأنه إن ملك الأستاذ اللغة استطاع أن يوصلها لطلبته وأن يتذوقها ويستمتع بها وهو يقرأ نصوصها من قرآن كريم وحديث شريف وشعر جاهلي وأن يفهمها ويعرف أسرارها ومعاني دلالات نحوها وبلاغتها عندها سوف يقدّمها لقمة سائغة جميلة لطلبته ويحفظ الطلبة عنه ويستمتعون بها ويتقنونها.

ولكن معلم الصف، الذي يدرّس الطلبة في المراحل الثلاث الأولى عندنا لا يدرّس من اللغة إلا سدس مواد اللغة العربية في الجامعة، فيدرس أربع مواد من أربع وعشرين مادة ويكون بهذا قد درس أقل من عشر خطته الدراسية لغة عربية.

كما تحدّث عن بعض طلبة تخصص "معلم الصف" الذين سبق له وأن درّسهم بعض المساقات إذ يقول: وجدتهم - مع الأسف - من الطلبة الضّعاف في اللغة، لا يقيمون جملة، ولا يكتبون إملاءً صحيحاً، ولا يستطيعون استخراج ما في اللغة من جمال، فكيف يعلّم اللغة من لا يتقنها.

ويؤكد على أهمية تدقيق ومراجعة الكتب المدرسية من قبل متخصصين في اللغة، وهنا يشيد بتجربة الغرب في هذا المجال؛ إذ يتولى عملية التدقيق والمراجعة للكتب المدرسية أساتذة من حملة شهادة الدكتوراه، ولا يمكن للمرء أن يجد خطأ واحداً في لغة هذه الكتب أو طباعتها.

ويقترح في هذا الصدد أن يتولى تعليم اللغة من يتقنها ويتذوقها ويجيدها نحواً وصرفاً وبلاغة وإملاءً واستماعاً ... الخ، وأن يخضع معلمو هذه المرحلة إلى برامج تدريبية وتأهيلية، بحيث تُعد لهم الكفايات اللازمة ويدرسون عليها. ويدعو إلى أن تُصاغ دروس القراءة لصفوف المراحل الأولى بإيقاع يشبه إيقاع الشعر حتى يتغنى به الطلبة، فهذا مدعاة لحفظها والانجذاب إليها أكثر، وهكذا في قواعد اللغة العربية يقترح أن تُصاغ شعراً سلساً على غرار الأناشيد؛ فالأطفال يحفظون الأعاجيب كأن نقول مثلاً:

الفاعل يا ولدي مرفوع

الفاعل مرفوعٌ بالضمّة

انظر هذي الضمة

وصل الضيفُ. نزل المطرُ.. نجح الطالبُ.. ضمّة

فتسحرُ الطلبة ويتغنون بها نشيداً بسيطاً يؤلفه الشعراء وعندنا منهم الكثير. فلو عُمّمت هذه التجربة في الصفوف الأولى لاستطعنا أن نسرب هذه المعلومات إلى أذهان الطلبة، ومن ثم يدركون معانيها ومصطلحاتها وماهيتها في الصفوف العليا ونواصل المشوار معهم في الجامعة وهكذا.

وفيما يخص تكريم المعلم، يقول د. عودة: لا بدّ من مكافأة المعلم المبدع، وعندنا في الأردن الكثير من الحوافز، فهناك يوم المعلم، وجوائز المعلم والباحث المبدع، ولكن نرجو أن تزيد هذه الحوافز في قابل الأيام؛ لأن المعلم لا يكتمل إبداعه وإنجازه إن لم يكن مرتاحاً في عمله.